الأهرام

خانه مطبوعات
مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی

٢٦ - ٢٧

الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

الرقم المعياري للمجلة في المكتبة الملكيّة في لاهاي (هولندا)

ISSN 13842773

POST BUS 1113

3260 AC OUD - BEYERLAN

FAX : 0031 1866 16306

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

Shiabooks.net

ملامح منهج التقريب
عند الشهيد الصدر (قدس سره)

◙ الدكتور عبد الجبار شراره

الامام الشهيد الصدر (قدس سره) عالم رباني ومجتهد وَرِعٌ وعبقريٌّ فذٌّ كان عطاؤه زاخراً لاحدودَ له، وكانت امنيته الكبرىٰ أن يرىٰ شريعة اللّه تعالىٰ تحكم الوجود والحياة الاسلامية، وقد بذل روحه الطاهرة من أجل تحقيق هذا الهدف العظيم.

لقد أغنىٰ الامام الشهيد الصدر (قدس سره) المكتبةَ الاسلامية بدراساته المبتكرة[1] وأمدَّ الفكر الاسلامي المعاصر بأسباب القوة والمنعة لمواجهة تحديات العصر الحضارية، ورَفَدَ النهضة الاسلامية والصحوة الاسلامية المباركة بعناصر الحيوية والاستمرار، حتىٰ لَيصحُّ القول انّ الامام الشهيد الصدر (قدس سره) كان اطروحة الاسلام المتجدد. يدلك على ذلك أنه (قدس سره) قد نهض بمسؤوليات فكرية وجهادية مّما لم ينهض بمثله إلا القلائل في تاريخ الاسلام المجيد.

كان في جهاد متواصل وسعي دائب من أجل تحرير وعي الامة المسلمة من اطروحة الغرب الكافر وتحرير مستقبلها من هيمنة الاستكبار العالمي وعملائه، فلقد امتلك مقومات (البطولة التاريخية)، وأسباب القدرة علىٰ تهيئة مستلزمات وشروط النهضة الشاملة، فهو مثّل (الاستجابة الواعية للتحدي الغربي، ليس علىٰ مستوىٰ تزييف[2] الاطروحة الغربية) ونقدها بل بتقديم البديل الفكري والنظري[3] أيضاً، واستطاع علىٰ مستوى التخطيط والممارسة، والعمل علىٰ سدّ الثغرات أمام النفوذ الاستكباري، واحباط قدراتهم الستراتيجية في محاولة تعويق النهضة التي بدأت معالمها تلوح في الافق.

إنَّ الرصد الدقيق لمجمل حركة الامام الشهيد الصدر (قدس سره) يكشف عن انه صاحب (تفكير ستراتيجي) يعمل في كل الاتجاهات بقدرة غير اعتيادية، فهو يسعىٰ الىٰ زج الامة الاسلامية كلها في مواجهة

شاملة مع قوىٰ الاستكبار العالمي اذ ينشّط الوعي الاسلامي، ويستقطب المثقفين، ويحرك الجماهير بلغة خطاب مستمر[٤]، ويسعى الىٰ تربية جيل من العلماء وانضاج القدرات الاستنباطية باصلاح مناهج الحوزة[٥]، ويستشرف آفاق المستقبل فيقدّم صيغة متطورة لمؤسسة المرجعية الدينية[٦] قادرة علىٰ استيعاب حركة الامة ومستقبل الوعي فيها. ويؤسس حركة اسلامية[٧] ناشطة يوفر كل الامكانات اللازمة لنموها واتساعها وامتدادها الىٰ الوسط العلمائي والحوزوي ـ وهو أكثر الاوساط تحفظاً بالنسبة الىٰ العمل السياسي ـ نعم لايكتفي بكل ذلك حتىٰ يلقي بثقله المرجعي والفكري من أجل انجاح تأسيس دولة اسلامية بعد نجاح الثورة الاسلامية التي فجّرها الامام الراحل الخميني (قدس سره)، اذ يقدم مشروع دستورها ونظرية العمل والاقتصاد[٨]. لقد ظلّ الامام الشهيد الصدر (قدس سره) أميناً علىٰ تحمل تلك المسؤولية يخطط لوحدة المواجهة الاسلامية الكفوءة الشاملة ازاء وحدة قوى الكفر العالمي حتىٰ سفك من أجل ذلك دَمهُ[٩]، واستُبيحت حرمتُهُ المقدسة فنال (رضوان اللّه عليه) درجة الشهادة وسامَ استحقاقٍ وتقدير لإخلاصه وتفانيه من أجل الاسلام العظيم.

إنَّ مايعنينا دراسته هنا من جوانب هذه الشخصية الربانيّة العظيمة هو اطروحته ومنهجه الذي نحاول اكتشافه، في مجال (المشروع التوحيدي والتقريبي) الذي ابتدأ علىٰ يد رواد النهضة الاسلامية المعاصرة ورجالاتها الكبار. ولذلك ستتناول هذه الدراسة عرضاً ومعالجة للخطوات والأبعاد التي تضمنها منهج الامام الشهيد (قدس سره).

نقدّم بين يدي ذلك نبذةً مختصرةً عمّا قطعه رجال (التوحيد والتقريب) في هذا المجال وما آل اليه الامر الآن.

نبذة تاريخية عن الوحدة ومشروع التقريب بين المذاهب الاسلامية

لعل من المناسب أولاً أن نتعرف بصورة موجزة علىٰ ماكان عليه دعاة التقريب والوحدة، وماقدموه من برامج وماسلكوه من مناهج ليتبين من خلال ذلك منهج الامام الشهيد الصدر (قدس سره) ومدىٰ تميُّزه وشموليته كما حاولنا استكشافه.

ان المنهج الذي سار عليه دعاة التقريب والوحدة كان قد تمثّل عند الرواد الاوائل[١٠] من أمثال السيّد جمال الدين وتلميذه الامام محمد عبده باصدار النداءات، وحثّ الامة علىٰ ضرورة التمسك بالوحدة. وعلىٰ الرغم من أهمية

ذلك في تلك الاوقات والازمان إلا أنّ انشغال السيد وتلميذه بالحركة الاصلاحية العامة في أوساط الامة ربما حال دون طرح برنامج محدد في هذا الصدد. وقد حصل ببركة تلك الحركة الاصلاحية تطور مهم عندما تصدىٰ مجموعةٌ من العلماء من مختلف المذاهب، وتنادَوْا لتأسيس دار ومنتدىٰ في القاهرة بعد ذلك يهتم بمشروع التقريب بين المذاهب، فتمّ تأسيس (دار التقريب في القاهرة) ونتجَ عن ذلك انجاز مهم تمثل في استقطاب أبرز الشخصيات العلمية والفكرية الاسلامية[١١] من أمثال المرجع الديني الامام البروجردي، والامام كاشف الغطاء والامام السيد شرف الدين الموسوي وكلهم من الشيعة، كما استقطب علماء الازهر الكبار من أمثال الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمد أبو زهرة ثم شيخ الجامع الازهر الشيخ محمود شلتوت الذي عبّر عن جديته وحماسه باصدار فتواه الشهيرة[١٢] بصحة التعبّد علىٰ مذهب الامامية الاثني عشرية. وقد تمّ ادخال دراسة الفقه الإمامي في برامج التدريس في الازهر الشريف[١٣] وتمخّض عن (دار التقريب) مجلة علمية رصينة هي (رسالة الاسلام) كانت تعبّر عن اطروحة التقريب، وصدر منها اكثر من ستين عددا[١٤] علىٰ مدىٰ عشرين سنة، وكان لها أثرٌ ودور في احداث وعي متزايد في الاوساط المثقفة والمؤمنة بأهمية الوحدة.

إنّ هذه الحركة الناشطة في دعوة التقريب دبَّ اليها الوهن، وأوشك أن يلفها الخمود لولا أن قيّض اللّه تعالىٰ لهذه الامة مفجر الثورة الاسلامية الامام الراحل روح اللّه الخميني (ﷺ) فأعادَ اليها الحياة، اذ تبنىٰ الدعوة الىٰ الوحدة الإسلامية[١٥]، ودعا الىٰ التآلف والاتحاد لمواجهة قوىٰ الكفر العالمي وتبنّىٰ خليفته من بعده السيد القائد الخامنئي هذه الدعوة الصادقة فبادر[١٦] الىٰ تأسيس (مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية) ليكون منطلقاً في تعزيز مسيرة التقارب والوحدة. وقد بدأ نشاط هذا (المجمع) ينصبُّ علىٰ عقد الندوات السنوية[١٧] علىٰ مستوىٰ العالم الاسلامي، واصدار النشرات لتقوية الاتجاه التقريبي ثم تتوّجَ أعماله باصدار مجلة (رسالة التقريب)[١٨] لتكون منبراً حرّاً ومعبراً صادقاً عن منهج التقريب.

إنّ المحاولات التقريبية الجادة التي قام بها العلماء والمفكرون المخلصون قد حققت نتائج مهمة علىٰ مختلف الاصعدة، ففي مجال الدراسات الفقهية والكلامية كادت الدراسات المقارنة تسودُ في الاوساط الحوزوية والاكاديمية وفي ذلك

ما فيه من جدوىٰ وثمار حقيقية تتمثل في تفهم اتباع كلّ مذهب مباني ومتَبنيات المذهب الآخر. ولعل من المناسب أن نشير هنا الىٰ أن هذا الاتجاه العلمي في الدراسة المقارنة كان فقهاء الامة الأوائل قد سبقونا اليه، اذ نجد مبادرة علم الهدىٰ الشريف المرتضىٰ في (الانتصار) والشيخ الطوسي في (الخلاف) والعلامة الحلي في (التذكرة) وكلهم من أجلاء فقهاء الامامية، وتلمسناه علىٰ نحو آخر في (المغني) لابن قدامة، وفي (بداية المجتهد) لابن رشد الحفيد هذا في المتقدمين أما في العصور المتأخرة وفي عصرنا الحالي فقد بادر اليه الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في (تحرير المجلة) والعلامة محمد تقي الحكيم في (الاصول العامة)، وتلمسناه في الدراسات الجامعية التي أشرف عليها أساتذة الازهر، وظهر في الموسوعات الفقهية[١٩] أخيراً.

وأما علىٰ الصعيد السياسي فقد كانت هناك مواقف سياسية تنمُّ عن المشاعر الاسلامية الصادقة، وتدلّ علىٰ الحرص علىٰ كيان الاسلام السياسي مهما كان لونه المذهبي، كما حصل هذا مثلاً في افتاء علماء الامامية في الربع الاول من هذا القرن العشرين بوجوب الجهاد لحماية الحكم السني[٢٠] في الدولة العثمانية. ومثل ذلك كان موقف كثير من العلماء السنة[٢١] في دعم واسناد الجمهورية الاسلامية. وكل ذلك يدلُّ علىٰ أهمية وجدوىٰ (المشروع التقريبي) وضرورة تنشيطه واتخاذ الخطوات العلمية والعملية لانجاحه.

أبعاد وخصوصية منهج الامام الشهيد الصدر (قدس سره)

ينطلق الشهيد الصدر (قدس سره) في منهجه العام من حقيقة بسيطة مفادها أن نجاح أي مشروع انما يتوقف علىٰ كون القائمين عليه مؤمنين كلَّ الايمان بأحقيته وجدواه[٢٢]، لانَّ مثل هذا الايمان يقود بالضرورة الى الاخلاص والجديّة، ويستتبع ذلك بالضرورة أيضاً الدقة في التخطيط والحرص في المتابعة كما يحفّزُ علىٰ الاخذ بكل مبادرة جادة واهتبال كل فرصة سانحة، والتفتيش عن أية امكانية متوفرة تخدم الهدف الاساس للمشروع ولا تتقاطع مع أغراضه الحيوية.

إنّ الوعي العميق بهذه الحقيقة جعل الامام الشهيد الصدر (قدس سره) ـ وهو يستشعر ويستحضر خدمة الاسلام العظيم طلباً لرضا اللّه تعالىٰ ـ جعله يتميز في كل فعالياته وأنشطته وحركته المباركة بالجدية والحيوية في الاعداد والتخطيط والمتابعة والاشتراك الفعلي[٢٣] لتنفيذ المشاريع

الكبرىٰ والخطيرة التي حمل علىٰ عاتقه أعباء مسؤولياتها.

ولو حاولنا استكشاف منهج الامام الشهيد في الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية. لوجدنا ايمانه (قدس سره) الراسخ، ووعيه العميق بأهمية الوحدة الاسلامية وخطورتها ليس علىٰ صعيد المواجهة مع الخصوم الايدولوجيين والتقليديين فحسب وانما بضرورة تميّز الامة المسلمة كياناً حضارياً ازاء الكيانات الاخرىٰ. انّ ذلك الايمان والوعي الراسخين دفعاه الىٰ التأكيد أولاً علىٰ ضرورة تغليب الحرص علىٰ الكيان الاسلامي والغيرة عليه[٢٤]، بل هو يدعو الىٰ ضرورة تنظيف مشاعرنا من الغيرة علىٰ المصالح الخاصة (كيانات مذهبية أو أفراداً) لحساب الغيرة علىٰ الكيان الكلي للاسلام. إنه (قدس سره) يرىٰ أنَّ المحنة التي تواجه الامة كبيرة وكبيرة جداً، وهي تتعلق بمصيرها وبمستقبلها، ولذا لابدَّ من وحدة المشاعر ازاء وحدة المحنة، ويفلسف ذلك قائلاً: «لأنَّ اختلاف الشعور يؤدي لامحالة الىٰ اختلاف الموقف الذي يتخذه الممتحن تجاه محنته، اذ تبعاً لنوعية الشعور سوف يتخذ الموقف المطلوب وفقاً لذلك الشعور ..»[٢٥] ثم يضرب مثلاً علىٰ ذلك من واقع المحنة في العراق ويأخذ نموذجاً لذلك محنة الصراع بين العرب والاكراد ـ وهي المحنة التي عُرِّضَ لها الشعب العراقي في مرحلة من تاريخه المعاصر ـ ويعبّر الامام الشهيد عن هذه المسألة تعبيراً حذراً ودقيقاً اذ يقول: «هناك محنة يعيشها العراق منذ سنين وسنين، محنة صراع مسلح بين أخوين مسلمين في الشمال بين بعض العرب وبعض الاكراد»[٢٦] ثم ينتقل للتدليل على صحة التحليل والاستنتاج السابق قائلاً: «إنَّ شعور بعض الناس ازاء هذه المحنة أنها كلَفته ولده، كلَفته أخاه، كلَفته صديقه، وعليه فهو يعيش المحنة علىٰ هذا المستوىٰ ويشعر بها بهذه الدرجة، وموقفه ازاء ذلك أن يهرِّب أخاه ... أن يتهرب من واجبات القانون حتىٰ لاينخرط في مأساة من هذا القبيل .. ولايرىٰ له واجباً من وراء ذلك، واخرىٰ يتعمق هذا الشعور اكثر فاكثر فيكون شعوره شعوراً اقليمياً علىٰ أساس أنَّ أبناء البلد الواحد يتصارعون ويتنازعون فيما بينهم، وهذا الشعور والانفعال الاقليمي تجاه المشكلة يؤدي الىٰ اتخاذ موقف اوسع من الموقف الاول، الىٰ موقف يفكر فيه انه كيف يعيد الصفاء والسلام الىٰ أبناء البلد .. وقد يكون شعوره أعمق من هذا وذلك، قد يشعر بازاء المحنة أنها نتاج عدم تطبيق شريعة الله تعالىٰ علىٰ هؤلاء المسلمين .. ان عدم تطبيق شريعة

اللّه هو الذي ادىٰ الىٰ تعميق التنافس بين الاخ وأخيه حتىٰ ولدت مشكلة بين هذا وذاك، حينئذٍ سيولّد هذا الشعور موقفاً يختلف عن الشعور السابق والاسبق..»[٢٧].

إنَّ الشهيد الصدر ـ كما يظهر هنا ـ قد امتلك وعياً عميقاً انطلق منه في حركته المباركة ومسيرته المظفرة، وعياً كونيّاً شمولياً قادَه الىٰ ابتكار الوسائل والاساليب الاكثر قدرةً علىٰ الوصول الىٰ الاهداف الحيويّة في مشروعه النهضوي الكبير. ولقد شخّص الامام الشهيد (قدس سره) أهمية وحدة الشعور التي ينبغي أن تقود الىٰ وحدة الموقف عند الامة ازاء قضاياها المصيرية، ورأىٰ ضرورة الاستعلاء علىٰ حالة التمحور حول الذات (شخصيةً كانت أم مذهبية أم اقليمية) والارتقاء الى مستوىٰ الاهتمام بالكيان الكلي للامة. وإذاكان ذلك كله شرطاً ضرورياً ومدخلاً أساسياً لنجاح البرنامج الطموح والمشروع النهضوي، فانَّ الذي يعنينا الآن تبيّن أبعاد منهجه في المشروع التقريبي وكالآتي: ـ

أولاً: الدعوة الىٰ زجّ الامة الاسلامية في حركة جهادية واحدة

إنَّ الشهيد الصدر (قدس سره) كان يرىٰ ضرورة زجّ الامة المسلمة في حركة جهادية تقف فيها وجهاً لوجه أمام قوىٰ الكفر العالمي، وكان (رضوان اللّه عليه) يرىٰ ضرورة تصدي علماء الامة ومفكريها وطليعتها وجماهيرها لقوىٰ ومخططات الاستكبار العالمي. اننا نجد في نداءات الامام الشهيد (قدس سره) مايعبر عن هذا الاتجاه بوضوح، فقد قال (قدس سره) موجهاً نداءه الىٰ الشعب العراقي بعد احتدام المواجهة مع عملاء الاستكبار العالمي: قال: «أيها الشعب العراقي اني اخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية بكل فئاتك وطوائفك، بعربك واكرادك، بسنتك وشيعتك، لأنَّ المحنة لاتختص مذهباً دون آخر ولاقومية دون اخرىٰ. وكما أنَّ المحنة هي محنة كل الشعب العراقي فيجب أن يكون الموقف الجهادي والردّ البطولي والتلاحم النضالي هو واقع كل الشعب العراقي ...»[٢٨].

وقال (رضوان اللّه عليه) في موطن آخر:

«إنَّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يُوحوا الىٰ أبنائنا البررة من السنة، أن المسألة مسألة شيعة وسنة ليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك..»[٢٩] وفي ضوء ذلك كله:

فإنَّ الامة المسلمة بجميع طوائفها ومذاهبها ومفكريها عندما يكونون في خندق واحد إزاء قوىٰ الاستكبار العالمي

فإنَّ ذلك من شأنه بالضرورة أن يخلق حالةً من التقارب والوحدة ويكون كفيلاً بتذويب الجليد وردم الهوة. إنَّ الشعور بالمصير المشترك، والوقوف في وجه العدو المشترك (أُمةً واحدةً) له أعمق الأثر في احداث وعي عميق بضرورة تقليص أسباب الخلاف والاختلاف والارتقاء الىٰ حالة الانسجام والألفة.

ومما ينبغي ملاحظته في هذا الصدد أنَّ الامام الشهيد الصدر (قدس سره) عندما يطرح رؤيةً يكون هو أول المبادرين الىٰ العمل والتبني والاخلاص قال (قدس سره): «اني منذ عرفتُ وجودي ومسؤوليتي في هذه الامة، بذلتُ هذا الوجود من أجل السني والشيعي علىٰ السواء، ومن أجل العربي والكردي علىٰ السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحّدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمّهم جميعاً، ولم اعش لفكري وكياني إلا للاسلام طريق الخلاص وهدف الجميع ..»[٣٠].

إنَّ أهمية حركة الامة ككل لاتكمن أهميتها فيما ذكرناه فحسب، بل هي في منظور الامام الشهيد «شرط أساسي لإنجاح أي تنمية وأي معركة شاملة ضد التخلف، لأنَّ حركتها تعبير عن نموها ونمو ارادتها وانطلاق مواهبها الداخلية. وحيث لاتنمو الأمة لايمكن أن تمارس عملية تنمية، فالتنمية للثروة الخارجية والنمو للامة يجب أن يسيرا في خط واحد»[٣١].

ولم يكتفِ الامام الشهيد بالدعوة الىٰ زجّ الامة في عمل جهادي ضد قوىٰ الاستكبار العالمي ومايكون لذلك من أثر مباشر ومهم في تقارب وتآلف واتحاد طوائف الامة، بل وجدنا السيد الشهيد الصدر (قدس سره) يتجه الىٰ تأسيس حركة اسلامية تتبنىٰ الاسلام عقيدة ونظام حياة، وتستند في برنامج عملها الىٰ قواعد الشريعة ومبادئها التي هي محل ايمان جميع المسلمين، وتقرّ مبدأ رجوع كل مكلف الىٰ من يراه أهلاً للتقليد، ويتسع صدرها الىٰ احتضان جميع المسلمين لزجهم في حركة الجهاد المقدس. ومن هنا واستناداً الىٰ هذه الاطروحة، والىٰ التربية الجهادية والروحية التي قام بها الامام الشهيد الصدر (قدس سره) في أوساط هذه الحركة الاسلامية المباركة لانجدُ في أدبياتها ونشراتها، كما لانجدُ في مواقفها أثراً للّون المذهبي و(الخصوصية المذهبية). بل نجد الانطلاق من افق الاسلام الأرحب فكراً وسلوكاً ومواقفَ[٣٢].

ثانياً: القيام بدراسات وبحوث فقهية وفكرية تتسم بنزعة التقريب والوحدة

يحسن أولاً أن نشير هنا الىٰ أنَّ كثيراً من العلماء والفضلاء والباحثين قدّموا دراسات علمية رصينة في مجال العقيدة والتاريخ والفقه والاصول التزموا فيها باصول البحث العلمي وقواعده، وناقشوا أخطر الموضوعات بروح موضوعية وبِنَفَس تقريبي واضح[٣٣]، وكل ذلك أسهمَ بلا شك في خدمة هدف التقريب والوحدة، إلا أنه ربما يلاحظ أنَّ كثيراً من الموضوعات المهمة ذات الطبيعة العقائدية والتاريخية والاكثر حساسية وخطورة بقيت في معظمها بعيدةً عن التناول العلمي الموضوعي الجاد، إما خشيةً من اثارتها لما تحمله من حساسيه خاصة، أو لأنَّ تناولها بعيداً عن مداخلات (الموروث) وعن اطار (القناعات الخاصة) أمرٌ ليس بالسهل اليسير، وربما تكون مثل هذه الموضوعات أيضاً اختباراً جدّياً لمدىٰ مصداقية الباحث العلمي في قدرته على الانفتاح الوجداني علىٰ ماتوصله اليه نتائج البحث النزيه. ولقد وجدنا كثيرين علىٰ مدىٰ التاريخ يتصدون لمثل هذه الموضوعات أو يحاولون معالجتها، ولكنهم لم يستطيعوا الافلات من الاستجابة الواعية أو غير الواعية الىٰ الموروث أو (القناعة المزمنة)، ولا أراني بحاجة الىٰ ايراد الشواهد علىٰ ذلك فهي كثيرة في مجال الدراسات الكلامية والفقهية والتاريخية وغيرها[٣٤].

إنَّ المتأمل في الدراسات والبحوث التي أنجزها الامام الشهيد الصدر (قدس سره) يجد مصداقية (التقريب والوحدة). فهو قد انطلق أولاً في دراساته ومعالجاته لأكثر القضايا خطورة وحساسية من افق الاسلام، وما تمليه مقتضياته وروحه ومنطقه العام. فهو (رضوان اللّه عليه) لم ينطلق في دراساته من مبدإ التسالم علىٰ (نصوص) معينة يقتضي منطقها ومنطوقها تثبيت (المطلوب)، بل كان منطلقهُ أولاً من الافق الأرحب، أي منطق الاشياء ومنطق الشريعة ومقاصدها[٣٥] ثم يكون الاحتكام الىٰ (النصوص) في مرتبةٍ تالية علىٰ أن تستبعد التمحلات والتأويلات البعيدة، وتلاحظ تلك النصوص ضمن ظروفها وملاباساتها[٣٦].

لقد كان وعي الامام الشهيد (قدس سره) عميقاً أيضاً عندما أنجز عدة بحوث ودراسات في حقول المعرفة الاسلامية تهدف الىٰ تأسيس قناعات مشتركة بين أبناء الاسلام. أو تثبيت اسس ومقررات شرعية مقبولة تصحّ منطلقاً لقيام دراسات

ذات سمة تقريبية.

ويلاحظ في هذا الصدد مثلاً دراسته العميقة حول مسألة الخلافة، ومعالجته لهذا الموضوع الذي يعدُّ من اكثر الموضوعات حساسية وخطورة نجده يترسم تلك الخطوات وينطلق من تلك الاسس. فيبتعد عن المعالجة التقليدية المتوارثة عِبرَ قرون متطاولة، ويبحث المسألة باسلوب علمي رصين وبنفس هادئ محايد وينطلق من افق الاسلام ومنطقه، ومايفرضه منطق العلم بطرح الافتراضات المحتملة، واختبارها، مستنطقاً حقائق الواقع ومشهور الوقائع.

إنَّ الدارس والمتأمل في كتاب الشهيد الصدر (رحمه الله) الذي صدر تحت عنوان (بحث حول الولاية)[٣٧] وتمَّ تحقيقه ونشره تحت عنوان (نشأة التشيع والشيعة)[٣٨] سيلاحظ ـ الدارس ـ أنَّ الروح التي سادت في هذا البحث، والطريقة التي اتبعت في معالجته واسلوب المناقشات العلمية الهادئة، تكشف عن مصداقية الامام الشهيد في نزعته التقريبية.

ويقع في هذا الاطار أيضاً المعالجات والدراسات التي أنجزها الامام الشهيد الصدر (رحمه الله) والتي تتصل بالقضايا الاسلامية المعاصرة والاشكالات الفكرية التي تواجه المسلمين عموماً سواء في نطاق (نظرية المعرفة) كما في دراسته (فلسفتنا) (والاسس المنطقية للاستقراء)، أم في المجال الاجتماعي والاقتصادي كما في كتابه (اقتصادنا) و (البنك اللاربوي في الاسلام)، أم في مجال التفسير والفقه، ولديه عشرات البحوث[٣٩] في هذا النطاق.

إنَّ اقدام الامام الشهيد على مثل هذه المعالجات والدراسات يحقق هدفاً مزدوجاً اذ هو في نفس الوقت الذي يقدّم الى مثقفي الامة زاداً فكرياً نضيجاً لمواجهة التحديات الحضارية والفكرية الغربية فانَّ ذلك يتضمن بالضرورة تحقيق أرضية مشتركة، وقناعات مشتركة يتحرك عليها المسلمون الواعون، وينطلقون منها جميعاً في عملية المواجهة، وفي بلورة المواقف الموحّدة أو الحلول العملية لاشكاليات الحياة المعاصرة. إنَّ كلَّ ذلك لايحقق وحدة الفكر والموقف فحسب، وهو أمرٌ بحد ذاته يصبُّ في هدف التقريب والوحدة، بل يؤدي بالضرورة الى تقليص أسباب الخلاف والاختلاف في اكثر المسائل والقضايا حيويةً وخطورة والتي تهمّ الامة الاسلامية وتتعلق بمستقبلها السياسي والاجتماعي في ظل حاكمية الاسلامية. بالاخص اذا لاحظنا أنَّ الامام الشهيد (رحمه الله) قد أفادَ في بلورة النظرية الاقتصادية والمذهب الاقتصادي في

الاسلام من الاجتهادات الاخرىٰ في المدارس الفقهية الاسلامية وقد أشار (رضوان اللّه عليه)[٤٠] الىٰ ذلك، ودعا الىٰ هذا اللون من الدراسة التي تنفتح علىٰ الآخرين وتفيد من نظراتهم وبحوثهم واجتهاداتهم. بل ذهب في هذا المجال الىٰ ماهو أهم عندما أسس مقولةً حيوية قائلاً:

«إنَّ أي موقفٍ للشريعة الاسلامية يحتوي علىٰ اكثر من اجتهاد يعتبر نطاق البدائل المتعددة من الاجتهاد المشروع دستورياً ويظل اختيار البديل المعيّن من هذه البدائل موكولاً الىٰ السلطة التشريعية التي تمارسها الامة علىٰ ضوء المصلحة العامة..»[٤١].

إنَّ هذه المقولة التأسيسية تعدُّ بحقٍ خطوة كبيرة جداً في مسيرة وحدة الامة وفي المشروع التقريبي، اذ هو (رحمه الله) يرىٰ عدم حصر موقف الشريعة في نطاق اجتهاد معين في مثل هذه المواضيع الاساسية في حياة الامة، وأنَّ الاجتهادات تعتبر مشروعة دستورياً، والسلطة التشريعية هي التي تختار (الاجتهاد المعين علىٰ أساس من مصلحة الامة ككل).

ثالثاً: المشاريع الواعدة وأهميتها في التقريب والوحدة

لقد نهض الامام الشهيد (رحمه الله) باعباء ومسؤوليات جسام، وأسهم في وضع اللبنات الاساسية لمشاريع عديدة بل وقدم اطروحةً بنّاءة في اكثر من مجال تصبُّ كلها في هدفٍ حيوي هو توحيد الامة في اطار كيان متميز لايستعير من الآخرين ولايقلدهم بل له أصالته وشخصيته الحضارية وقد أعطىٰ كلَّ وقته من أجل انجاز جملةٍ من تلك المشاريع، وكان في تقديره (رضوان اللّه عليه) أن ينجز مشاريع اخرىٰ بدأ بوضع لبناتها الاساسية، وهي تصبُّ في الهدف ذاته ولعل من أهم تلك المشاريع هو مشروع الدستور الاسلامي للدولة الاسلامية، ومشروع فقه المعاملات أو القانون المدني. وتنبع أهمية هذه المشاريع من صلتها بالحياة العملية للمجتمع المسلم، وبمستقبل الامة الاسلامية وكيانها السياسي المستقل في ظل حاكمية الاسلام المرتقبة. وقد وَجَدَ الامام الشهيد الصدر (رحمه الله) الفرصة مواتيةً بعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران فقدّم لمحة فقهية عن «مشروع دستور الجمهورية الاسلامية». والمتأمل في لوائح ومواد هذا المشروع يجد الروح الاسلامية العامة واستشراف الأفق الاسلامي والنظر الىٰ الأمة المسلمة كياناً واحداً وحالة موحدة مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية (ايران) باعتبار المشروع ناظراً الىٰ هذه

الجهة . فعلىٰ سبيل المثال ، نجد في احدىٰ مواد الدستور المقترح مايلي:

«إنَّ الأمة هي صاحبة الحق في الرعاية وحمل الأمانة ، وأفرادها جميعاً متساوون في هذا الحق العام أمام القانون ، ولكل منهم التعبير من خلال ممارسة هذا الحق عن آرائه وأفكاره وممارسة العمل السياسي بمختلف اشكاله ، كما إنَّ لهم جميعاً حق ممارسة شعائرهم الدينية والمذهبية ، وتتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالانتماء السياسي اليها ...» .

وجاء في مادةٍ اخرىٰ:

«للجمهورية الاسلامية الايرانية أهداف تاريخية بحكم رسالتها ومسؤوليتها العظيمة ، وهي أهداف تقوم علىٰ أساسها خطوطها السياسية ومناهجها في مختلف المجالات ففي الداخل تهدف الىٰ:

١ ـ تطبيق الاسلام في مختلف المجالات .

٢ ـ تجسيد روح الاسلام بإقامة مبادئ الضمان الاجتماعي والتوازن الاجتماعي والقضاء علىٰ الفوارق بين الطبقات في المعيشه وتوفير حدّ أدنىٰ كريم لكل مواطن واعادة توزيع الثروة بالأساليب المشروعة ، وبالطريقة التي تحقق المبادئ الاسلامية للعدالة الاجتماعية .

٣ ـ تثقيف المواطنين علىٰ الاسلام تثقيفاً واعياً ، وبناء الشخصية الاسلامية العقائدية في كل مُواطنٍ لتتكون القاعدة الفكرية الراسخة التي تمكن الامة من مواصلة حمايتها للثورة .

وأما في الخارج ـ أي في نطاق العلاقات الدولية فيقترح الامام الشهيد أن تكون أهداف الدولة الاسلامية هي :

١ ـ حمل نور الاسلام ومشعل هذه الرسالة الىٰ العالم كله .

٢ ـ الوقوف الىٰ جانب الحق والعدل في القضايا الدولية وتقديم المثل الأعلىٰ للاسلام من خلال ذلك .

٣ ـ مساعدة كل المستضعفين والمعذبين في الأرض ومقاومة الاستعمار وبخاصةٍ في العالم الاسلامي الذي تعتبر ايران جزءاً لايتجزأ منه .

إنَّ هذه المبادئ والمواد الدستورية التي يصوغها الامام الشهيد الصدر (قدس سره) ، تعدّ اسهامةً جديةً في إقامة دولةٍ اسلامية حديثةٍ على أساس الاسلام ، ويعدّ هذا المشروع نموذجاً رائعاً لما يجب أن تتبناه الامة الاسلامية وقواها الطليعية في مستقبل حياتها السياسية . وهو يشكل بالتالي قاعدة رصينة مشتركة تلتقي عندها الأمة الاسلامية وتتوحد بمقتضاها .

هذا مايتعلق بالقانون الدستوري، أما مايتعلق بمشروع القانون المدني، فقد كان هاجساً رئيساً عند الإمام الشهيد الصدر (قدس سره) ينبّه اليه مراراً[٤٢]، ويتحين الفرص لانجازه، وله نظرات وآراء مبثوثة في كثير من بحوثه الفقهية وتعليقاته وخاصة في كتابه (اقتصادنا). ولايخفى مافي انجاز مثل هذا المشروع من ثمار عظيمة وجدوىٰ حقيقية علىٰ صعيد وحدة الأمة من خلال مبادئ التعامل وقيام الحياة اليومية علىٰ اساس شريعة الاسلام بالأخص إذا لاحظنا المنهج الذي جرىٰ عليه (رضوان اللّه تعالىٰ عليه) في تأصيل النظريات وتقرير الأحكام، وهو منهج يقوم علىٰ مبدأ (البدائل الاجتهادية)، والإفادة من آراء فقهاء الأمة وعلمائها، والانفتاح علىٰ الآراء النضيجة .. وقد قدّم الأمام الشهيد (قدس سره) (اقتصادنا) نموذجاً علىٰ ذلك.

إن مايمكن أن نخلص اليه بعد هذا العرض السريع للخطوات والمشاريع التي قام بها الإمام الشهيد الصدر (قدس سره) هو تميّز المنهج الذي اتبعه عن سائر المناهج الاخرىٰ بالشمولية والأصالة والعلمية. وأنّ ترسُّمَ مثل هذا المنهج الذي حاولنا استكشاف جوانب منه، واكمال الأشواط التي قطعها في هذا المجال سيحقق الأهداف العظمىٰ المقصودة من المشروع التقريبي والوحدوي المبارك.

الهوامش والمصادر

١ ـ راجع: الاسس المنطقية للاستقراء. فقد عالج الشهيد الصدر اشكالية فلسفية بطريقة لم يسبقه اليها سابق.

٢ ـ راجع: كتاب «فلسفتنا» في تزييف ونقد الفكر الغربي المادي، وراجع «اقتصادنا» الجزء الأول في مناقشة الاطروحة الماركسية في الاقتصاد والاسس الاقتصادية للفكر الرأسمالي.

٣ ـ راجع: «اقتصادنا» الجزء الثاني إذ يطرح الإمام الشهيد النظرية الاقتصادية والمذهب الاقتصادي الاسلامي، وراجع أيضاً: «البنك اللاربوي في الاسلام» الاطروحة البديلة لحل المعاملات المصرفية.

٤ ـ راجع «رسالتنا» ماكان يكتبه الإمام الشهيد في افتتاحية الاضواء راجع مباحث الاصول / العلامة السيد كاظم الحائري / الجزء

الأول من القسم الثاني / ص ٧٣ / نشر مكتب الاعلام الاسلامي / قم ١٤٠٧ هـ.

٥ ـ راجع : دروس في علم الاصول / ج ١ / ص ١٨ / مؤسسة النشر الاسلامي / قم ـ ١٤١٠ هـ.

٦ ـ راجع : مباحث الاصول / تقريرات ابحاث الشهيد الصدر (٢) بقلم العلامة السيد كاظم الحائري / الجزء الأول من القسم الثاني / المقدمة / ص ٩٤ ـ ٩٨.

٧ ـ مباحث في علم الاصول / ج ١ من القسم الثاني / السيد الحائري / ص ١٤١. وراجع / ص ٨٧ ومابعدها «استراتيجية الشهيد الصدر في العمل الاسلامي».

٨ ـ راجع مباحث الاصول / ج ١ من القسم الثاني / ص ٦٨ : «الاسلام يقود الحياة» ألّف منه ست حلقات في سنة ١٣٩٩ هـ بمناسبة نجاح الثورة الاسلامية وهي :

آ ـ لمحة فقهية تمهيدية من مشروع دستور الجمهورية الاسلامية في ايران.

ب ـ صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي.

ج ـ خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الاسلامي.

د ـ خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.

هـ ـ منابع القدرة في الدولة الاسلامية.

و ـ الأسس العامة للبنك اللاربوي في المجتمع الاسلامي.

٩ ـ المصدر السابق / ص ١٦٤ : استشهد رضوان الله عليه ٢٣ / جُمادىٰ الأولىٰ / ١٤٠٠ هـ ولم يحضر دفنه سوىٰ الحجة آية الله السيد محمد صادق الصدر. وقد شوهدت آثار التعذيب الوحشي المروّع علىٰ بدنه ورأسه الشريف.

١٠ ـ رسالة الاسلام / العدد الثاني / السنة الأولىٰ / ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م ـ اصدار دار التقريب / كلمة التحرير / محمد محمد المدني.

١١ ـ راجع مجلة (رسالة الاسلام) الطبعة الجديدة ـ اصدار مجمع البحوث الاسلامية للاستانة الرضوية، ومجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية ـ مؤسسة النشر في الاستانة الرضوية / ١٤١١ هـ المقدمة / بقلم الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني ـ الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب.

١٢ ـ مجلة رسالة التقريب / العدد الأول / ص ١٢٩ :

قال فضيلة العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر : «إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التعبّدبه شرعاً كسائر المذاهب السنية ..» وراجع نصّ الرسالة في / ايران من الداخل / فهمي هويدي / ص ٣٢٧.

١٣ ـ راجع : ايران من الداخل / فهمي هويدي / ص ٣٣٠ / نشر مركز الاهرام

للترجمة والنشر / ص ٣١ / ١٩٨٨ م.

١٤ ـ صدر العدد الأول من مجلة (رسالة الاسلام) في ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م وكان آخر عدد قد صدر في رمضان / ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.

١٥ ـ راجع البحث القيم الذي نشره الكاتب خالد توفيق بعنوان «قضايا الوحدة ومشكلات التجزئة» في فكر الامام الخميني (٢) / القسم الثاني / مجلة التوحيد / العدد (٦) السنة العاشرة في صفر / ١٤١٣ هـ / اصدار منظمة الاعلام الاسلامي.

١٦ ـ مجلة رسالة الاسلام / العدد الأول ـ الطبعة الجديدة ـ المقدمة بقلم الشيخ واعظ زاده.

١٧ ـ تمّ عقد ست ندوات، كانت الاولى والثانية في مكة المكرمة ١٤١١ هـ ـ ١٤١٢ هـ كما عقدت ندوة عالمية في الأردن، وندوات اخرى في طهران.

١٨ ـ صدر العدد الاول من مجلة رسالة التقريب في رمضان المبارك سنة ١٤١٣ هـ وقد صدر منها لحد الان أربع أعداد.

١٩ ـ راجع: الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الاوقاف في الكويت.

٢٠ ـ مباحث الاصول / الحائري / ص ١٥٢، نداء الشهيد الصدر (٢).

٢١ ـ قضية وقوف كثير من علماء ومفكري أهل السنة مع الجمهورية الاسلامية حقيقة معروفة للجميع.

٢٢ ـ مباحث الاصول / ص ٧٧.

٢٣ ـ راجع مباحث الاصول / السابق / ص ٨٨، ص ٥٨ ـ ٦٦، وراجع ص ٧٧.

٢٤ ـ المحنة / الامام الشهيد الصدر / انتشارات ذو الفقار / قم.

٢٥ ـ المصدر السابق / ص ٢٦.

٢٦ ـ المصدر نفسه / ص ٢٦.

٢٧ المصدر السابق / ص ٢٧ ـ ٢٨.

٢٨ ـ مباحث الاصول / الحائري / ص ١٥١.

٢٩ ـ المصدر السابق / ص ١٥١.

٣٠ ـ المصدر السابق / ص ١٥١.

٣١ ـ اقتصادنا / الشهيد الصدر / ط ٢ / ١٤٠٨ / ص ١٣.

٣٢ ـ رسالتنا، نشر دار الكتاب الاسلامي / قم.

٣٣ ـ راجع مجلة رسالة الاسلام باعدادها الستين مثلاً على ذلك، وراجع مثلاً كتاب المراجعات / العلامة عبد الحسين شرف الدين، وكتابات الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر. وتحرير المجلة / كاشف الغطاء، والفقه الاسلامي وأدلته / الدكتور الزحيلي وغيرهم كثير.

٣٤ ـ راجع فجر الاسلام / أحمد أمين المصري، وراجع كتابات احسان ظهير الهي، وراجع أيضاً مع محب الدين الخطيب في

خطوطه العريضة / الشيخ لطف الله الصافي.

٣٥ ـ راجع اقتصادنا / ص ٤٢١ الى ٤٢٣ / الطبعة الثانية / المجمع العلمي للشهيد الصدر / ١٤٠٨ هـ.

٣٦ ـ المصدر نفسه ـ دراسة رائعة لكيفية التعامل مع النص / ص ١٤٠٤ فما بعدها.

٣٧ ـ بحث حول الولاية / الشهيد الصدر / (٢)، طبع مقدمة لكتاب الدكتور عبد الله فياض / تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة / الاصدار مطبعة أسعد / ١٩٧٠، ونشرته دار التعارف / بيروت / سنة ١٩٧٧م، ونشر في القاهرة بعنوان آخر باشراف السيد طالب الرفاعي / ١٩٧٧م.

٣٨ ـ نشأة التشيع والشيعة / الشهيد الصدر (٢) / تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة نشر مركز الغدير للدراسات الاسلامية / قم / ط ١ / ١٤١٤ هـ. وترجم الى اللغة الفرنسية باهتمام مؤسسة الامام علي عليه السلام.

٣٩ ـ راجع مباحث الاصول / ص ٦٧ ـ ٦٩.

٤٠ ـ اقتصادنا / السابق / ص ٣٤ المقدمة، وراجع / ص ٤٢٣.

٤١ ـ لمحة فقهية عن مشروع دستور الجمهورية الاسلامية / ص ١٣، طبع قسم الاعلام الخارجي لمؤسسة بعثة ـ طهران.

٤٢ ـ راجع مباحث الاصول / ص ٦٢.

جيل المستقبل في العراق .. سائرون على طريق الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد
وعلى آله الطاهرين

وبعد فإن المحنة الأولى التي تعرض لها الشعب الأفغاني المسلم
بكل تلاحاته عربا وعلماء الإسلام خصوصا تمثل اعتداء صارخا
على إسلام هذا الشعب العريق وكرامته وحريته واستقراره.
بكل القيم الإنسانية إن لم يكن بقوة الحديد والنار أن تفرض أفكارا لكفرا
على شعبنا على الإسلام وما ورد وما احتضنه عقيدة ومنهجا
ولئن سكانا العشرات من العلماء الإعلام الذين يتعرضون في أزمانات
السجون وعانت الأبرار الأحرار من أبناء الشعب الأفغاني المسلم
يصمتون باستمرار والملايين من المسلمين تهدر كرامتهم وتتحدى
عقيدتهم فإن هذه المحنة لا تزعزع الشعب الأفغاني الأتمكا بدينه
وعقيدته ودفاعا عن بيضة الدين

ونحن نهيب بكل أحرار الشعب الأفغاني الكريم أن يحموا بكل
ما لديهم من طاقة وقوة مجتمعهم المسلم في قبضة الأحرار
المجاهدين

كما نهيب بالمسلمين جميعا في شرق الأرض وغاربها أن
يدركوا عظمة المحنة التي يواجهها إخوان لهم يسلمون في الأفغان وأن يطالبوا كل
الأحرار في العالم بالعمل من أجل إنقاذ حرية هذا الشعب وحياته الإسلام وأبنائه
الأحياء ونسأل الله العلي القدير سبحانه أن ينزل سكينته على هذا الشعب الأبي
ويؤيد بنصر من عنده ويرحم من هذه المحنة رافع الرأس صلب
العبادة وفيا لدينه أمينا على رسالته والسلام عليكم جميعا ورحمة الله
وبركاته

محمد باقر الصدر

١٤٠٠/٤/٢٢ هـ

الإمام الصدر ❊ ومحنة الشعب الأفغاني